

تجربة التحديث الماليزية والعلاقات مع العراق منذ عام ١٩٧٧

د. ماهر جبار الخليلي
دكتوراه تاريخ معاصر / كلية الامام الكاظم

ان الكتابة السياسية عن الدول الناهضة تعد من الاهمية بمكان نظرا لما تتمتع به هذا الدول من تجربة ناجحة ومميزة، والهدف الاساس هو توضيح الاطر العامة لهذه العلاقة والسبل الواجب سلكها لتطوير العلاقات معها وتمتينها والافادة منها.

ان ربط السياسة مع التاريخ وتوظيفهما معا من اجل خدمة التنمية والتحديث هي خطوة مهمة وضرورية، لان الكتابة بهذه الطريقة وهذه المواضيع الحساسة أصبحت من اهم دوائر الاهتمام لصانعي القرار في المجتمعات العالمية، نظرا لما تتضمنه من عناصر قوة للمجتمع، لاسيما دراسة تجارب الامم الحديثة، لغرض الاستفادة من الاخطاء وكسب الايجابيات والبناء عليها للنهوض والانطلاق نحو المستقبل بخطوات اكثر ثباتا واكثر عقلانية واسرع وتيرة .

ان موضوع (تجربة التحديث الماليزية والعلاقات مع العراق منذ عام ١٩٧٧) هو موضوع على قدر كبير من الاهمية لما يتضمنه من عناصر ايجابية كبيرة من الممكن للعراق لو احسن استغلالها بالصورة الصحيحة الافادة منها وبالمقابل لابد من تحديد اسباب الاخفاق في تطوير تلك العلاقات الى مستويات اكبر واعمق .

تجربة التحديث الماليزية قوية المحتوى والابعاد، فالاختلاف بين طوائف المجتمع كبير يشمل اللغة والقومية والدين والثقافة، وندرة المشتركات بينهم، باستثناء الجغرافية متمثلة بالارض التي تجمعهم، ومع ذلك تجد ماليزيا اليوم افضل الدول تطورا ونموا، وتعد من (مجموعة النمر الاسيوية) على الرغم من اعتمادها على منظومة من القيم الشرقية والاسلامية والمحلية. تبلغ المساحة الاجمالية لماليزيا ٣٢٩,٧٥٠ كم٢، ويبلغ تعداد السكان في ماليزيا حسب بيانات عام ٢٠١٤م حوالي ٣٠,٤٠٠,٠٠٠ مليون نسمة.

اولا : طبيعة النظام والمجتمع :

تكونت دولة ماليزيا الملكية الفدرالية من عدة مستعمرات بريطانية عندما نال اتحاد الملايو الاستقلال في ٣١ اب ١٩٥٧م المتكون من عدة ملكيات، ثم أعيد تنظيمها مرة أخرى بعد ان تم دمج كل من سنغافورة، سارواك، وبورنيو الشمالية البريطانية واتحاد الملايو جميعا لتشكّل الدولة

الجديدة باسم ماليزيا يوم السادس عشر من أيلول عام ١٩٦٣م، ثم حصلت في السنوات التالية توترات ضمن الاتحاد الجديد أدت إلى انفصال سنغافورة واستقلالها في التاسع من آب ١٩٦٥ م .
إنّ النظام القانوني والسياسي في ماليزيا ينص على إنها دولة ديمقراطية تتبنى النظام الملكي الدستوري والبرلماني وفق النموذج الذي تتبناه بريطانيا (نظام ويستمنستر) لكن الملكية تدور بين تسعة ملوك لكل دورة خمس سنوات .

نظام الحكم في الدستور ملكي فيدرالي يجمع الممالك والولايات الماليزية الستة عشر تحت علم ونظام واحد راس الهرم فيه هو الملك، والممالك هي تسعة واربع اقاليم وثلاث ولايات فدرالية .

الملك يكون واحدا من الملوك التسعة للممالك التسعة بعد عقد مؤتمر الحكام الذي يعقد لهذا الغرض بمعنى ان الملكية انتخابية مقيدة بشروط وليست وراثية، ولكن الملك منصبه شرفي وفخري ذو صلاحيات محدودة، والسلطة الواسعة بيد حكومة فيدرالية مركزية يرأسها رئيس الوزراء، الذي يشكل الحكومة بعد فوز حزبه في الانتخابات على مستوى الدولة، وهو ذو صلاحيات واسعة.

يشكل عنصر الملايو الجزء الاكبر من المجتمع الماليزي والاكثر سيطرة والتاثير من الناحية الثقافية والدينية وتبلغ نسبتهم حسب احداث الاحصائيات ٥١%.

العرق الصيني يشكل تواجده في ماليزيا بمثابة العصب الأساس للدولة الماليزية لاسيما الاقتصاد والمال وتبلغ نسبتهم حوالي ٢٣%.

أما الماليزيون من أصول هندية فيشكلون حوالي ٧,١% من السكان حيث بدأ الهنود الهجرة إلى الملايو في أوائل القرن التاسع عشر .

ثانيا : تطور العلاقات الماليزية- العراقية

تعود جذور العلاقات العراقية الماليزية إلى سنوات السبعينات، حيث تم افتتاح السفارة العراقية في ماليزيا، والسفارة الماليزية في بغداد، وشهدت العلاقات الثنائية بين البلدين تطورا ملحوظا خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين وبداية الألفية الجديدة، وكان هناك تبادل للزيارات بين المسؤولين في البلدين، إضافة إلى تبادل تجاري واسع.

استثمرت الجهود الدبلوماسية الماليزية لعام ١٩٧٧م بتوقيع عدد من المعاهدات والاتفاقيات الدولية المهمة مع دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا تناولت مجالات اساسية وهي التجارة والتعاون العلمي والثقافي والمجال الفني.

في ١٧ شباط عام ١٩٧٧ وقعت ماليزيا اتفاقية مع جمهورية العراق في بغداد ،اذ جاءت زيارة رئيس الوزراء التون حسين عون الى العراق في ١٧ شباط ١٩٧٧م لتوقيع اتفاقيات تجارية وعلمية وفنية تضمنت مواضيع الاستيراد والخبراء وصرف العملات الأجنبية وتوفير أقصى التسهيلات الممكنة لغرض زيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين، والتي وقعها عن الجانب العراقي وزير التجارة حسن علي .

وتمخضت الزيارة ايضا عن التوقيع على اتفاقية علمية تتضمن استقبال العراق للطلبة الماليزيين في الجامعات العراقية وتوفير الظروف الملائمة لنجاح مهمتهم، وقد زار رئيس الوزراء الماليزي من ضمن جولته الطلبة الماليزيين الدارسين في جامعة بغداد مطلعاً على احوالهم واحتياجاتهم .

استغلت الحكومة الماليزية عقد قمة الاسيان في آب ١٩٧٧م في العاصمة كوالالمبور لتزيد من النشاط الدبلوماسي في اقامة علاقات مع بلدان جديدة خارج المنطقة، وتزامن عقد القمة مع الاحتفال بالذكرى العاشرة لتأسيس الرابطة واستطاع وزير الخارجية تانكو أحمد رضا الدين ونائب رئيس الوزراء مهاتير محمد بحث عدة قضايا اقتصادية مع رؤساء دول الاسيان بوجود اليابان ونجح الوفد الماليزي باحراز تقدم واضح في تحقيق عدة اتفاقات اقتصادية.

في عام ١٩٧٩ قدم السفير العراقي مساعدات مادية لماليزيا في بداية نهضتها والتي ساهمت ببناء العديد من المباني والطرق وخير شاهد على ذلك مبنى مؤسسة "تابونج حجي" التي تختص بخدمة الحجاج الماليزيين.

في حقبة الثمانينيات كانت ماليزيا في مرحلة بناء واعمار كبيرة وكان العراق يخوض حرباً مع جارتها ايران، ولذلك نجد ان الدكتور مهاتير محمد في رحلته المكوكية نحو اغلب دول العالم، ومنها دول الخليج العربي استثنى العراق من تلك الزيارات والاتفاقيات لاسباب لم يوضحها في اي تصريح ولكن من خلال دراسة طبيعة سياسته يمكن القول انه كان يبحث عن من يستثمر ويساند ويدعم الاقتصاد الماليزي في مرحلة البناء، والعراق لم يكن مهيباً لهذا الدور ابداً كانت هناك علاقات تجارية محدودة مع زيارات متفرقة لبعض المسؤولين بين البلدين.

في التسعينيات كان للحكومة الماليزية و برئاسة الدكتور مهاتير مواقف معروفة بالصد من موضوع الحصار الاقتصادي على العراق وكان موقفها واضحاً بضرورة رفع العقوبات، ولكن لم يكن ذلك تقارباً مع حكومة العراق انذاك وانما كان موقفاً مبدئياً متوازناً مع قضايا الشعوب

الآخري ومنها مساندة حقوق الشعب الفلسطيني ومساندة نضال الشعب الجنوب افريقي ضد سياسة التمييز العنصري التي تمارسها الاقلية البيضاء من حكومة جنوب افريقيا وغيرها من المواقف .
بعد الاعتداء على برج التجارة العالمي في ١١ من ايلول ٢٠٠١ وقفت الحكومة الماليزية موقفا مساندا لاجراءات الولايات المتحدة الامريكية ضد الارهاب وحركة طالبان في افغانستان وشاركت ماليزيا في الكثير من النشاطات الامنية والاستخبارية .

ثالثا: تطور العلاقات بعد عام ٢٠٠٣

مع قرار الهجوم على العراق كان الموقف الماليزي مغايرا تماما اذ رفضوا الحرب واعتبروه عدوانا على الرغم من ان رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد لم يكن على علاقات وثيقة مع حكومة العراق في وقتها لا من الناحية السياسية ولا الاقتصادية، ولكن كان موقفا مبدئيا وبشكله العام كما تم الاشارة الى ذلك سابقا ، وطبيعي هذا يفسر الى حد كبير طبيعة مواقف الحكومة الماليزية فيما بعد عام ٢٠٠٣ مع الاوضاع في العراق .

لقد تم إغلاق السفارة الماليزية في بغداد بعد الاحتلال، وجرت في السنوات اللاحقة مباحثات بين الطرفين لإعادة إفتتاحها ، ولكن نظراً للظروف الامنية تم تعليق الأمر إلى اشعار اخر .

ظلت العلاقات بين العراق وماليزيا تجري من جانب واحد اذ حاول العراق بكثير من الجهود الدبلوماسية في تطوير وتمتين العلاقات بين البلدين ولكن الحكومة الماليزية كانت تنتظر الى الاوضاع الامنية المتوترة في الداخل العراقي، على الرغم من ان العراق استمر في نشاط سفارته في العاصمة كوالالمبور ورعاية مصالح العراقيين الموجودين على الاراضي الماليزية، والذين يقدر عددهم في اخر الاحصائيات اكثر من ثلاثين الف عراقي منهم اكثر من اربعة الاف طالب يدرسون في الجامعات الماليزية منهم مبعثين بشكل رسمي ومنهم من يدرس على حسابه الخاص .

في عام ٢٠١١ زار سفير ماليزيا لدى الاردن داتو بن عبد الملك ابلاد العاصمة بغداد للترتيب لاعادة فتح سفارة ماليزيا في العراق واستقبله وقتها وزير الخارجية هوشيار زيباري، وتم مناقشة موضوع اعادة فتح السفارة الماليزية في بغداد ولكن الامر لم يتعد هذه المحاولات لانها لم تنجح في تغيير فكرة حكومة ماليزيا عن الاوضاع في الداخل العراقي .

وفي عام ٢٠١٤ تكررت الحالة ايضا عندما قررت الحكومة الماليزية إعادة فتح سفارتها في بغداد، اذ استقبل وزير الخارجية الامين العام المساعد لشؤون الادارة والتنظيم في وزارة

الخارجية الماليزية داتو ابراهيم عبد الله، وجرى خلال اللقاء مناقشة موضوع إعادة فتح السفارة الماليزية في بغداد ولم تترجم هذه الجهود والقرارات على ارض الواقع .

ولكن النشاط الاكثر تاثيرا هو الاتفاقات التجارية، اذ قدمت شركة بتروناس (Petronas) عطاءاتها لثلاث عقود منفصلة لتطوير الحقول النفطية في العراق خلال جولة التراخيص العراقية الثانية في كانون الأول ٢٠٠٩ ، اذ قدم ائتلاف تقوده شركة بتروناس بعرض لتطوير حقل الغراف وهو أحد الحقولين الأوليين الذين عرضا لتقديم العطاءات وتلقا عروضاً بأسعار منخفضة بشكل مذهل. وكان الائتلاف الفائز مؤلفاً من بتروناس بحصة ٦٠% ، وشركة جابكس (Japex) اليابانية بحصة ٤٠%. وبموجب العقد فإن رسم الأجور هو ١,٤٩ دولار لكل برميل مستخرج، ومستوى الانتاج المستهدف ١٥٠ ألف برميل في اليوم الواحد.

ثم وقعت بتروناس أيضا عقد خدمة لمدة ٢٠ عاما لتطوير حقل مجنون، جنبا إلى جنب مع شركة شل (Shell) العالمية للنفط. ويهدف المشروع الى زيادة الانتاج الى ١,٨ مليون برميل يوميا من ٤٥ ألف برميل يوميا (٢٠١٠). وتقود شل الائتلاف وهي المشغل بحصة ٤٥% وبتروناس ٣٠%، وتتمتع الدولة العراقية بما تبقى من ٢٥%.

وفي يوم الخميس المصادف ٢٧/٦/٢٠١٣ اقامت شركة بتروناس الماليزية مشغل حقل الغراف حفلا كبيرا بمناسبة تقديم منحة الدراسة الجامعية لبعض الطلبة المتقدمين من سكان النواحي والقرى المحيطة بالحقل والذين ترشحوا بعد اجتيازهم الاختبارات وذلك لإكمال دراستهم في جامعة بتروناس في ماليزيا لنيل شهادة البكالوريوس في النفط والميكانيك وسبق وان رشحت نفس الشركة بعض المتقدمين لنيل شهادة الماجستير والدكتوراة.

الخاتمة والتوصيات

بعد هذا الاستعراض السريع لطبيعة العلاقات مع ماليزيا تاريخيا وسياسيا لابد من الخروج بالفوائد الذي سيجنيها العراق من توثيق علاقاته معها.

على الرغم من الانفتاح الكبير لماليزيا على الغرب والاندماج مع الاقتصاديات الحديثة فإنها احتفظت بقدر كبير من الطابع المحلي والخصوصية الوطنية الاقتصادية والاجتماعية، واستطاعت في مدة قصيرة من الزمن تغيير الاوضاع في البلاد من الاعتماد على الزراعة إلى بلد صناعي كبير في القارة الاسيوية، في عدة مجالات منها بعض الآلات الكهربائية وقطاع الإلكترونيات وصناعة المطاط والرقائق الالكترونية وغيرها .

ولذلك لا بد من توسيع الدراسات التي تخص هذه الدولة خاصة ودول جنوب شرق اسيا عامة لما لها من اهمية كبرى على المستوى العالمي لاسيما وان مجموع دول منظمة اسيان البالغة عشرة دول، اصبحت اليوم موحدة في قراراتها واقتصادياتها ولذلك فان الارتباط مع واحدة يجعلك تفتح باب مع عشرة دول اخرى .

ان اهمية منظمة الاسيان في الوقت الحاضر كبيرة اذ انها صنفت بالاقتصاد السابع عالميا بعد الولايات المتحدة الامريكية والصين واليابان والمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة .

والاسيان منظمة سياسية واقتصادية تتكون من عشرة دول في جنوب شرق اسيا ، تم تشكيلها في ٨ آب ١٩٦٧ من قبل اندونيسيا وماليزيا والفلبين وسنغافورة وتايلاند ، ومنذ ذلك الحين ، توسعت عضويتها لتشمل بروناي وكمبوديا ولاوس وميانمار " بورما " ، وفيتنام، وتأتي اهميتها من حجم مساحتها وسكانها وتأثيرها الاقتصادي ، اذ تبلغ مساحتها مجتمعة اكثر من ٤ ملايين هكتار بمعنى ٣% من مساحة اليابسة في الكرة الارضية ، ونفوسها اكثر من ٦٠٠ مليون نسمة بمعنى ٨,٨% من سكان العالم.

كما ان المعلومات الحديثة عن توجهات هذه المنظمة في المستقبل تثير الاعجاب والدهشة في ان واحد اذ انها تسعى مجتمعة الى توحيد عملتها بعملة واحدة في غضون عام ٢٠٣٠ ، كما اتفقت فيما بينها اخيرا على توحيد برنامجها السياحي لمدة عشرة سنوات قادمة تبدأ منذ عام ٢٠١٧ الى عام ٢٠٢٥ احتفالاً باليوبيل الذهبي لانشاء منظمة الاسيان (١٩٦٧-٢٠١٧)، علما ان ١٢% من الناتج القومي لهذه الدول يأتي من قطاع السياحة، ولذلك تسعى دول الاسيان الى رفع عدد السياح الذين بلغوا عام ٢٠١٥ اكثر من ١٠٠ مليون سائح ليصبح بحلول عام ٢٠٢٥ الى اكثر من ١٥٠ مليون سائح سنويا .

ومن اجل ذلك لا بد من الخروج بالتوصيات الآتية :

(١) ضرورة الاستفادة من تجربة منظمة الاسيان في جميع النواحي من خلال استحداث مركز دراسات شرق اسيا والذي يعنى بدراسة تجارب دول شرق اسيا الناجحة بطريقة علمية وتحليلية تشمل معها ايضا اليابان والكوريتين والصين ومن ثم تحديد الترياق المناسب لامراض العراق المزمنة .

(٢) اهتمت ماليزيا بتحسين المؤشرات الاجتماعية لرأس المال البشري، من خلال تحسين الأحوال المعيشية والتعليمية والصحية للسكان، وكانت هذه البداية نحو التنمية وقد اطلق عليها مهاتير مصطلح استثمار الانسان بمعنى بناء الانسان الماليزي الواعي والمنظم والمحب لوطنه،

ولاجل ذلك على العراقيين ان يتبنوا برنامج استثمار الانسان والاستفادة القصوى من طريقة ادارة هذا الملف في ماليزيا وكيفية تجاوز العقبات.

(٣) ضرورة العمل على زيادة حجم التبادل التجاري والصناعي مع ماليزيا فضلا عن توسيع اتفاقيات التعليم مع الجامعات الماليزية وزيادة حجم البعثات العراقية لاسيما الحكومية كما لا بد ان تكون البعثات على نوعين الاولى علمية لغرض الدراسات الاولية والعليا والثانية تقنية ومهنية لغرض اعداد عمالة ماهرة تعمل في مشاريع صناعية صغيرة ، ويعود ذلك لسببين الاول هي محاولة للتاثير على قرار الحكومة الماليزية بابقاء السفارة الماليزية في بغداد مغلقة والثاني في محاولة للاستفادة العلمية من التطور التقني والمختبراتي في الجامعات الماليزية .

(٤) ان العلاقات مع ماليزيا ضرورية جدا للمرحلة المقبلة، اذ تشكل ماليزيا قطبا اسلاميا مهما في منظمة المؤتمر الاسلامي، ولها ثقلها في منظمة الاسيان، كما ان لها دور وكلمة مسموعة ومؤثرة في مجموعة الدول الناطقة باللغة الانكليزية (الكومنولث)، ولهذا فان النجاح في تقوية العلاقات معها يجعل العراق قريبا من كل هذه المنظمات ومعه صديق يدافع عنه وقت الازمات ولكن الموضوع يحتاج الى حكمة ومعرفة وادارة ناجحة .

(٥) وظفت ماليزيا سياستها الخارجية لخدمة أهداف التحديث، ونجحت باعادة الاستقرار، من خلال تأمين العامل الخارجي في الصراعات الداخلية ثم توسع الدكتور مهاتير في توظيفها بشكل واسع اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، عن طريق زيارته المكثفة لدول العالم، من دون وضع خطوط حمراء على اية دولة فكريا او سياسيا او ايديولوجيا، وتوسيع دائرة اتصالاته التجارية، وارساله البعثات العلمية والعملية والصناعية الى مختلف الدول ، وهذا درس كبير لا بد الافادة منه عاجلا ام اجلا .